يحصد المركز الأول لعدة سنوات

الخطاط سامي الغاوي: فن الخط مشواره طويل

لا يكاد يُذكر الخط العربي في السلطنة إلا ويمر اسمه على البال، فقد وضع بصمةً واضحةً في هذا الفن الجميل بلوحاته وحروفياته التي حصد بها الإعجاب من الجميع. إنه الخطاط سامي بن زين الغاوي، الذي كان للتكوين وقفة معه لحديث عن تحربته ورؤاه وقصته الطويلة مع الخط العربي من خلال هذا الحوار.

حوار: سيف المعولي

حدّثنا عن بداياتك مع الخط العربي.

بدأت رحلتي مع فن الخط العربي منذ نعومة أظفاري في المرحلة الابتدائية، مطلع ثمانينيات القرن الماضي. كنت أهوى القراءة والرسم، وكانت بدايتي مع الرسم الواقعي؛ أرسم الوجوه والطبيعة من حولي، ثم شيئًا فشيئًا تحولت من الرسم إلى تقليد الخطوط المتوفرة آنذاك في الكتب المدرسية من البسملات والآيات القرآنية في كتب التربية الإسلامية واللغة العربية.

أضف إلى ذلك أنني كنت متأثرا جدا بخط والدي الحبيب -حفظه الله- حيث كان يكتب الخط الدارج بجمال وانسيابية لا نظير لهما، فكنت أحاول تقليده لتحسين خطي. كنت أكتب بقلم الحبر الجاف العادي ولم تكن لي دراية لا بأقلام الخط ولا بالقصب ولا الورق أو الأحبار، وإنما كنت أكتب الحرف وأعيد عليه حتى يصبح ثخيناً ليبدو كالكتابات التي أقلدها.

وفي المرحلة الإعدادية – منتصف الثمانينات – زرت إحدى المكتبات القليلة جدا آنذاك، ووقع بصري على كتاب «قواعد الخط العربي» للخطاط الكبير هاشم محمد البغدادي -رحمه الله-، فطلبت من والدي أن يشتريه لي، وبدأت بالتدرب عليه بقلم الحبر الجاف أيضًا إلى أن أهداني عمي قلما من نوعية (بلاتجنام) التي كانت معروفة في تلك الفترة، وكانت مخصصة لفن الخط من حيث السن المقطوط بشكل مائل وبه خرطوشات جاهزة للحبر.

وهل زرت أية معارض للخط في بداية مشوارك؟

نعم، ففي سنة 1992م حدث أقيم في مسقط العاصمة معرض اللوحات الفائزة بالمسابقة الدولية الثانية لفن الخط باسم ياقوت المستعصمي. فقمت بزيارة المعرض وفيه تعرفت على الأستاذ محمد التميمي (سكرتير المسابقة وقتها) والذي كان له الفضل بعد الله سبحانه وتعالى في أن قدمني إلى شيخي الأول الأستاذ الكبير حسن جلبي الذي دعاني بدوره إلى زيارته بأسطنبول. وفي العام نفسه – عندما كنت في البعثة الدراسية – قمت بزيارة تركيا والتقيت فيها بالأستاذ حسن جلبي الذي وضع خطواتي الأولى على الطريق الصحيح نحو هذا الفن. فأخذت عنه الدروس الأولى في خط الثلث وبراية القلم. عدت بعدها إلى بلد الابتعاث لأواصل الدراسة عليه بالمراسلة. لكني توقفت بعد فترة بسيطة لظروفي الدراسية.

وفي سنة 1998م زرت أسطنبول للمرة الثانية حيث لم يكن الشيخ حسن جلبي موجودا بها في الفترة التي زرتها، ولذلك قام الأستاذ محمد التميمي – جزاه الله خيراً – بتقديمي إلى أستاذي الكبير محمد أوزجاي الذي منه كانت الانطلاقة إلى آفاق هذا الفن. فأخذت عنه خطي الثلث والنسخ، وعلمني طريقة صناعة الحبر الأسود وبراية الأقلام وصقل الورق ولصق اللوحات على الورق المقوى والترتيش وتنظيف الحروف بعد الكتابة، ومكثت معه فترة ولا زلت أنهل من معارفه كلما سنحت الفرصة للقاء به، فجزاه الله عني كل خير.

ليس لي أسلوب محدد في الكتابة وبإمكان كل إنسان أن يصبح خطاطًا

ما العوامل التي تجد أنها أثرت في رحلتك مع الخط العربي؟

هناك عاملان أساسيان أثّرا تأثيرًا مباشرًا في تجربتي. وبقدر ما كان هذان العاملان سلبيين في بداية مشواري، إلا أنني أعدّهما العاملين الرئيسين والمحفزين الأساسيين في مسيرتي الفنية. العامل الأول: هو صعوبة التجربة نفسها وما واجهته من معوقات وبخاصة في بداياتي؛ لم يكن هناك شيء يخص فن الخط متوفرا في الأسواق، لا كتب ولا مراجع ولا مصادر ولا حتى صور لوحات للخطاطين نهتدي بها.

العامل الثاني: هو أحد أقاربي، حيث كنت ذات مرة أتمرن على كتابة خط التعليق بقلم الحبر وكان هو يمر بجانبي ليشاهد ما أكتب. فبدأ بالتهكم على كتاباتي والسخرية منها بشكل يبعث على التحطيم. وبقدر ما كانت تعليقاته محطمة، إلا أنها كانت سببا رئيسا ودافعا حقيقيا لأكثف التمارين والكتابة ليتحسن مستواي وأثبت له العكس. فكانت البداية لإثبات مقدرتي حتى أحصل على اعتراف بتفوقي، إلا أن التجربة تحولت من محاولات مستميتة إلى حب وعشق لهذا الفن وللحرف العربي والكتابة. ولا زلت أشكره دوماً على تعليقاته تلك رغم أنه لا يتذكر الموقف.

ما الأسلوب الذي تنتهجه في خطك؟ ومن هو مثلك الأعلى؟

ليس لي أسلوب معين بذاته في خطي أو عند كتابة لوحاتي، وإنما أنظر إلى كل لوحة ونموذج متقن كدراسة نظرية للحروف، ثم أحاول التمرن والكتابة كدراسة عملية في محاولات للوصول إلى قوة حروف الأقدمين والمعاصرين الكبار. ومثلي الأعلى في فن الخط من الأقدمين الخطاط محمد شوقي في الثلث والنسخ، والخطاط مصطفى حليم في الثلث الجلي، وإسماعيل حقي في الديواني الجلي. ومن الخطاطين المعاصرين مثلي الأعلى هو أستاذي الجليل محمد أوزجاي.

ما اللوحات التي كتبتها وتحس أنها الأقرب إلى قلبك؟

هناك لوحتان عالقتان في ذاكرتي ولا يمكن أن أنساهما أبداً وهما: لوحة النخلة، الآية «والنخل باسقات لها طلع نضيد» واللوحة الثانية هي الآية «وهو معكم أين ما كنتم». ولا أتحدث هنا عن مستوى اللوحتين من حيث قوة الحرف والتركيب والإخراج الفني، وإنما أتحدث عن نظافة التنفيذ والترتيش فيهما. فهاتان اللوحتان هما أقوى عملين لي من ناحية النظافة لأنني اعتنيت بالترتيش ونظافة الحروف وانسيابية الحبر والحك بدقة وصبر. أما من ناحية التركيب وقوة الحرف فإنني وبصراحة متناهية لست راضيًا عنهما.

مسيرتك مع الخط حافلة بالإنجازات، حدثنا عنها.

أبرز الإنجازات التي حققتها خلال مسيرتي هي حصولي على المركز الأول في مجال الخط العربي التقليدي لعدة سنوات بالمعارض السنوية للخط العربي والتشكيلات الحروفية بالجمعية العمانية للفنون التشكيلية بمسقط. وكذلك حصلت على جوائز تشجيعية

وتقديرية بالمسابقة الدولية لفن الخط التي تقام كل عامين بمركز إرسيكا التابع لمنظمة التعاون الإسلامي. إضافة إلى أنه تمت دعوتي إلى عضوية لجان التحكيم في مجال الخط العربي التقليدي لعدة مسابقات ومعارض فنية على المستوى المحلي والخليجي أبرزها جائزة السلطان قابوس للثقافة والفنون والآداب التي تُعدّ من أهم الجوائز وأرفعها على المستوى الدولي. وبالنسبة لمستواي في الخط فإنني لست راضيا عنه وأحس بأنه فاتني الكثير وأحاول الآن استدراك ما فاتني وأن ألحق بالركب.

من هم شركاؤك في النجاح؟

شركائي في النجاح هم كل من له يد سواء بالمشورة أو بالتعلم عنه أو بالنصيحة والتوجيه في هذا الفن، وأنا أعدّ كل من أشار علي ووجهني لشيء هو أستاذ لي منه تعلمت واستفدت.

تجربتك واسعة وكبيرة .. ألم تفكر في نقل هذه الخبرة للأجيال الحالية؟

لأكن صريحاً أكثر؛ إن فن الخط العربي مشواره طويل حتى يبدأ الخطاط بجني ثمرات جهده وصبره وتعبه. وفي هذا المجال فإنني قد رأيت الكثير والكثير من الشباب الذين لو سمعت كلماتهم الحماسية بأنهم سيثابرون ويتخرجون خطاطين مبدعين أو أقله متقنين للقواعد؛ فقد أقمت العديد من الورش الفنية والمحاضرات في فن الخط وعرضت الكثير من الكتابات والخطوط، إلا أنك تجدهم يبدأون بحماس لا نظير له ثم تنطفئ شعلة الحماس عندما يصدمون بطول المشوار والمشقّة التي سيتكبدونها وأن الطريق ليس سهلا كما ظنوا. فمن تعلق قلبه بهذا الفن سيأتي وسيبذل ويضحي. وفي الورش والدروس التي أقمتها قد يأتيك عشرون طالبا كلهم شعلة من الحماس وينتهي الأمر بواحد أو حتى قد لا ينتهي بأحد على الإطلاق. ولهذا فإنني أترك الأمر للظروف والأشخاص أنفسهم ومدى تعلقهم وحبهم لهذا الفن.

وعلى مستوى الأسرة والأبناء، هل نقلت تجربتك لأحدهم؟

بالنسبة لأسرتي وأبنائي فإنني أترك لهم حرية الاختيار وفقاً لميولهم الفنية إن صح التعبير. مع العلم بأن طاولتي للكتابة

وضعتها في صالة البيت حتى يمروا بجانبي ويشاهدوا كتاباتي اليومية لعل أحدا منهم يتأثر. ولكن لم يتأثر أحد منهم حتى ولو من باب الفضول والسؤال.

هل لديك نية لإصدار كتاب يضم أعمالك الإبداعية؟

النية موجودة وهناك تفكير بإصداره قريبا إن شاء، الله حيث إنني عكفت منذ فترة على تجميع المادة العلمية له من حيث التفاصيل، ولكن توقفت لفترة لظروف خارجة عن إرادتي، وآمل أن أكمل المادة ليرى النور قريباً.

كيف تُقيّم تجربة الخط العربي في السلطنة؟

الخط العربي في السلطنة يبشر بخير وفير قادم بقوة. فلدينا كوكبة من الشباب الواعد الذين يجدون ويثابرون بجهودهم الشخصية تارةً، وبالسؤال ومجالسة الأساتذة حين تسنح لهم الفرصة تارةً أخرى. وهناك معرض سنوي للخط العربي والتشكيلات الحروفية تقيمه الجمعية العمانية للفنون التشكيلية كمسابقة يستقطب الكثير من الشباب وطلاب الخط والذي من خلاله يتم الكشف عن طاقات وإبداعات كامنة. ومع قصر مدة التجربة على مستوى السلطنة – والتي تُعدّ في مهدها (رأي شخصي) – إلا أنها تمخضت عن مجموعة من طلبة وتلاميذ فن الخط الذين يثرون الساحة الخطية العمانية وربما سيثرونها لأعوام عديدة قادمة يشكلون من خلالها نواة لتجمع فني خطي في عُمان.

وبالنسبة لطلبة فن الخط برأيي المتواضع أن هؤلاء الشباب بالرغم من محدودية الإمكانات إلا أنهم بجهدهم وإخلاصهم لهذا الفن استطاعوا أن يحققوا قفزة نوعية في أنواع الخط العربي في فترة قصيرة، وهذا مما يدل على استعدادهم الفطري والملكة والموهبة التي تكمن بداخلهم. وأرى بأنهم بحاجة إلى الأستاذ الذي يكشف لهم أسرار وجماليات هذا الفن وما يتعلق به من أمور أخرى كالورق والزخرفة والأحبار والإخراج الفني للوحة وغيرها، إذا لا يكفي أن تتقن الحرف والقاعدة دون الاطلاع على مكملات وأساسيات اللوحة الفنية.

وليس شرطاً أن يكون الأستاذ متفرغاً لهذا الغرض وإنما كما يفعل الأساتذة الكبار بأنهم يخصصون يوما واحداً أو يومين في الأسبوع لطلابهم ليحضروا دروسهم التي كتبوها للتصحيح. أما بالنسبة لفن الخط العربي نفسه فهو يحتاج إلى اهتمام أكبر من الجهات المسؤولة وتسليط الضوء عليه، فالجمعية العمانية للفنون التشكيلية لم تقصّر من ناحية توفير المكان والإمكانات لعرض نتاجاتهم الفنية، ولكن أين دور الجهات الأخرى في الدعم والتشجيع؟ فلا نكاد نسمع باقتناء أعمال الخطاطين العمانيين من قبل الجهات المعنية

الشباب يبدأون بحماس لا نظير له ولكن سرعان ما تنطفئ الشعلة

إلا ما ندر. ولا شك أن هذا الأمر غير مشجع وباعث على الإحباط في نفسية الخطاط.

لماذا لم تفكروا - إلى الآن- في إنشاء جمعية مختصة بالخط العربي ؟

أعتقد «ومن وجهة نظري الشخصية» أن الوقت لايزال مبكراً لإنشاء جمعية مختصة بالخط العربي، ولو أن الأمر سيتطلب الحاجة إليها في قادم الأعوام خصوصا مع تزايد أعداد طلاب الخط وتلاميذه. فكما نرى أن الأنشطة الخطية جميعها تقام تحت مظلة الجمعية العمانية للفنون التشكيلية، وهي تؤدي دوراً كبيراً في توفيرها للمكان الذي يحتضن الخطاطين والفنانين وإنتاجاتهم، إلا أنني أعتقد أيضاً أن الثقافة الخطية وإدراك الجمهور لمعنى فن الخط العربي وماهيته لا تزال لم تنضج بعد ولم تنتشر على نطاق واسع شأنها كشأن معرفتهم بالفنون التشكيلية الأخرى والتصوير الضوئي. وفي الوقت الحالي فإنني شخصيا أرى استحداث قسم خاص بالخط العربي منفصلا عن الفنون الأخرى بالجمعية كما كان في السابق نادي التصوير الضوئي الذي كان تحت مظلة الجمعية إلى أن تشكلت قاعدة عريضة من المصورين والهواة فكان لزاماً أن تنشأ جمعية مستقلة للتصوير الضوئي.

هل بإمكان أي شخص أن يُصبح خطاطا؟

نعم بإمكان كل إنسان أن يصبح خطاطاً، وبالأحرى يستطيع كل إنسان أن يكون ما يريد وفق حدوده البشرية. والسؤال هو: ما مدى درجة إجادته للخط؟ فكل الخطاطين لم يولدوا خطاطين، وإنما تعلموا واجتهدوا وثابروا إلى أن وصلوا لهذه الدرجة. وهكذا شأن الإنسان في كل مجال يتعلم إلى أن يتقن ولا يوجد عالم وُلِدَ عالماً. وما أستطيعه أنا يستطيعه غيري. الاستعداد الفطري والملكة والاجتهاد هي التي تحدد مقدار الإجادة والتمكن. فالخط فن وعلم مكتسب وليس بالفطرة.

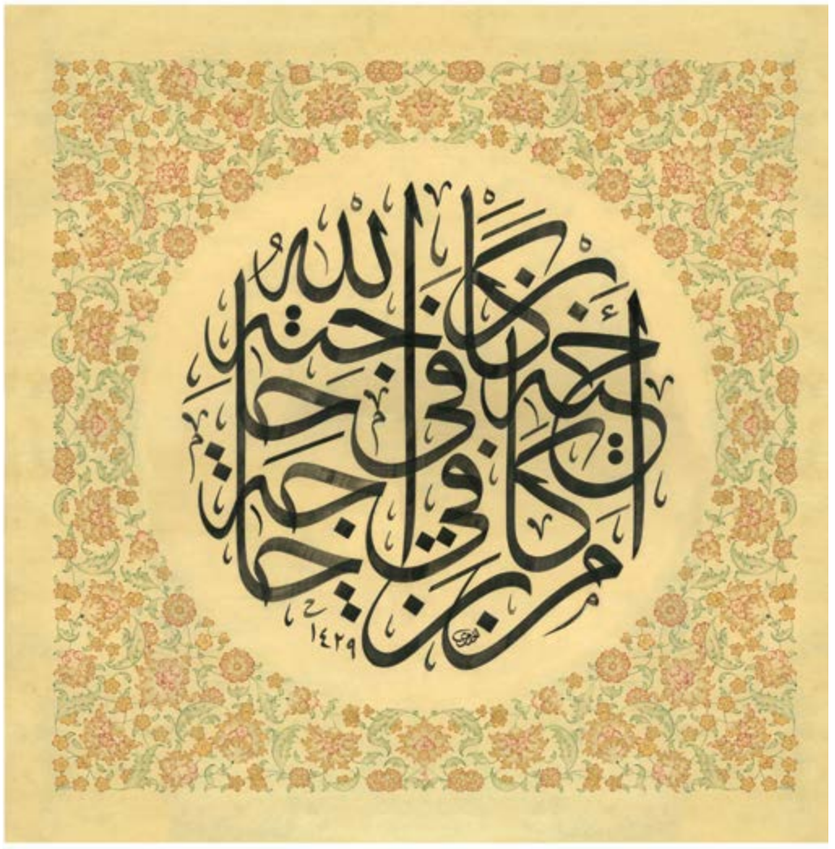

هل صحيح أن الخط العربي له مردود مالي أم لك رأي مختلف؟

ظريف هذا السؤال. ومن يقول بأن الخط العربي «ما يأكّلش عيش» أقول له إن العكس هو الصحيح، فالخط «يأكّل جونية عيش ونص مش بس طبق». والأمثلة حولنا كثيرة، والمسألة مسألة توفيق من الله سبحانه وتعالى ثم الاجتهاد والإخلاص والتفاني. كم من الخطاطين تحولت حياتهم من الفقر إلى الغنى ويسر الحال ومنهم من وصل إلى الغنى الفاحش وهو لا يشتغل إلا بالخط. ومثل هؤلاء هم العصاميون الذين بنوا أمجادهم وحولوا حياتهم وينظر إليهم كقدوة في الصبر والتحمل للوصول إلى أهدافهم.

كيف تنظر للمشاركة في المعارض؟ وهل المعارض الشخصية تضيف شيئا للخطاط؟

كثير من الناس يرددون بأن المعارض أصبحت متكررة ومملة وغير مجدية إذ لا جديد فيها سوى لوحات معروضة، إلا أنني أخالف هذا الرأي حيث أرى أن المعارض حتى وإن تكررت فإنها تلهم وتعلم وتعطي فرصة للخطاط للاطلاع على أعمال غيره من الخطاطين ليستفيد منها ويطلع على تجاربهم وأساليبهم. ويكفي الخطاط أنه يلتقي بإخوته وزملائه وأساتذته ليثري أفكاره من خلال النقاشات التي تدور ويتعرف على ما لم يكن يعرفه. والمعارض الشخصية أعتقد أنها تحقق نوعاً من الانتشار للخطاط مع توافر التجديد والإبداع.